

البدع والخرافات

وَالْبَقَالِيَّةُ وَالْجَهْلَانُ

﴿ مفاسد لا موالد ﴾

لأحد الفضلاء يصف المولد الكبير الاحمدي وبعض ما كان فيه
من البدع والمنكرات والتقاليد والعادات

إن صح ما يقوله علماء الصمران من أن المعارض مميّز تقدم الامم
وارتقائها في الحضارة لانها السوق الذي تعرض فيه بضائنها وما حصلت
عليه من علوم وما تحلت به من اخلاق وآداب والزناد الذي باستيرائه
يتمجلى كامن القوة ويتسنى الانتفاع بما أودع فيه من صنعة الحكيم المليم
كان المولد الاحمدي هو أول مميّز يعرف به الحكيم الخاذق ما عليه
امتنا المصرية من الارتقاء في سلم المدنية وما أحرزته من مستلزمات الحضارة
والسبق في ميدان تنازع البقاء ويمكنه بعد ان يجول في أنحاء طنطا في هذه
الايام جولة صغيرة أو يجلس في محل مشرف على طريق عام برهة من
الزمن ان يستجمع من الأدلة والبراهين التي يشاهدها بعيني رأسه ويسمها
بأذنه ما يكفي لاقتناعه بان يصدر حكماً قد رسخت قواعده على اساس
المدل على ما وصلت اليه الامة في آدابها واخلاقها وهل هي من ذلك
في الدرك الاسفل أو الدرجة العليا واذا كان ممن يعرف شيئاً عن حقيقة
الدين الاسلامي تبين مقدار محافظة الامة عليه وقيامها به واعتبر هذا المولد
عظة وذكرى لقوم يعقلون

ولكن ما الذي يشاهده ياترى؟ يشاهد طنطا وقد احتشد فيها انواع

الناس من كل فج وناحية فهي تموج بهم موجاً وقد ضاقت بهم ارجاؤها
على رحبها وقد تخلل عشرات ألوف هذا الجمع المزدحم آلاف من الباعة
لأنواع الألعيب وملهيات الاطفال والمناويل وأنواع الخرداوات وسائر
المروضات التي لو سألت عن منشئها ومن أين جاءت لأجبت لأول
وهلة أنها من واردات البلاد الاجنبية فليس بين ما يعرضه الباعة من
المصنوعات المصرية الا النزر اليسير من تافه المبيعات كالزماوات المتخذة
من القصب الفارسي ونحو ذلك وما بقي فمروضات افرنكية في الحقيقة -
وقلما تسمع نفس مصريّ بمرض مصنوع مفيد يكون من ورائه ترقية
حال الامة في زراعتها أو تسهيل الاعمال التي تراولها من المهن الضرورية
على حين ترى فيه الافرنج يتسابقون الى مثل هذه الاحوال فهم يرضون
في هذا المولد طنبوراً رافعاً للمياه يذكرون من فوائده انه يسهل ري الارض
بدرجة لم يسبقه بها من الآلات الرافعة الا ما كانت ادارته بقوة الآلات
الكهربائية أو البخار

وقد رأيناهم يرضون في المولد الذي قبل هذا أنواعاً من النوارج
ومكينات لقرط الذرة واخرى لغرلة الجبوب وثالثة لطحن البن وما شئت
من مصنوعات تضافرت عليها افكار وايدي الانسان فكانت خير نتيجة
اتبها الجد وممارسة العلوم وما أوتيتهم من العلم الا قليلا

اذا صرف العاقل نظره عن التأمل فيما يتبادل الناس بيعة وشراة
وتأمل في هذا الجمع المزدحم رأى اصناف الناس كأنما دعاهم داعي النشور
فقاموا مسرعين الى موقف فصل القضاء قد اختلط الرجال بالنساء والكبار
بالصغار كل أخذ في سبيله منصرف لما يريد - يرى من بين هذا المزدحم

فئات من الشبان قد التفتوا حول غانية هيفاء وقد خرجت متبرجة تبرج
 الجاهلية الأولى وبذلت اقصى ما تصل اليه يد امكانها من الزينة لتغري
 هؤلاء الاغرار باتباعها حتى يصلوا بها الى ملهى من الملاهي ويكون
 هناك من انتهاك حرمة الآداب ما تقشعر منه الالام العريقة في الحمجية
 يرى الطبول تقرع وكاسات الفقراء ترن والرايات الملونة خافقة في
 الهواء وحاملوها يتمايلون كأنما سرت فيهم كهربائية الولاية

انا جالس الآن اشاهد الطريق الذي يمر منه الخليفة وقد ازدحم
 الناس على جانبي الطريق والافرنج يشرفون من الكوى والشرفات
 ليشاهدوا ما يعمله المسلمون من شعائر دينهم ومن تحتهم تمر الخلفاء والنقباء
 وارباب الاشارة وانباء الطرق بالازياء المختلفة وآحاد الناس قد احتضنوا
 الابناء وعلى رؤسهم الطرايطر المخروطية الشكل المختلفة الالوان وهؤلاء
 الخلفاء (ماعدا خليفة السيد طبعاً) يسير الواحد منهم وهو ممتطٍ فرساً ذلولاً
 وقد امسك بهذا الشيخ من جوانبه الاربعة فثة من صريديه وهو يتمايل
 على ايديهم ذات اليمين وذات الشمال والى الأمام والوراء وآخران قد
 امسكا بزمام فرسه وهو على هذه الحال كأنما أخذ عن حسه واستغرق في
 مشاهدة الذات الاقدس والبعض من هؤلاء المشايخ الاقطاب قد اسبل
 على رأسه وجانب من نصفه الاعلى كساء من الصوف الاحمر او الاصفر
 او الاخضر او نحو ذلك فلا يرى من بدنه شيء وبض قد عمري رأسه
 وجسده الى ماتحت السرة وانحسر اللباس عن رجليه الى ما فوق الركبتين
 فلم يستتر من جسده غير سوائيه وهو في تمايله ذلك يخرج من فيه لعاباً
 يسيل من اشداقه كأنه يتخذ هذه الحال عنواناً على الرقي الى حظيرة القدس

او التناهي في مقام القرب وكونه لم يبق بينه وبين مخالطة الملائة الاعلى وعالم
الروحانيات شيء . وأمامه وخلفه ثلة من الشيب والكحول والشبان بعرب
الملابس قد استولى عليهم الجذب وشغل حسهم شهود الخالق في زعمهم
فهم يثبون وثبة القرد امره سيده بمحاكاة البرابرة يرقصون في ملاهيمهم
فأتمر . والنار يقرأ بعضهم الفوائح والبعض يستنثي بهم والنساء تزغرط
وما شئت من هذا الباب واكتلت من هذا الجراب

وبعد ذلك صرت الموسيقى وعلى جماعتها مظلة واحدة يبلغ قطرها
ثلاثة امتار ونصف تقريباً وقد نقشت بأنواع الاصباغ فكانت صرعى نظر
الجميع ثم صر الطبل التركي وخلفه ارباب الحرف وخدمة القهاوى من البلاد
المختلفة وقد امتطوا الحيول والبغال والابل على انحاء شتى وعلى رؤسهم
الطراير الموصوفة ولا تسئل عن عربات النقل (الكارو) المقلدة للنساء
والفتيات وقد لبسن الطراير واخذ الحرث مأخذه منهن حتى ان الواحدة
ربما لم تجد شيئاً تحرك به النسيم سوى نعلها فتتزعجه من رجليها وتمر به
امام وجهها يميناً وشمالاً تموج به الهواء تنفس عن نفسها وربما فعلت ذلك
لتكون اضحوكة

ومر بعد ذلك شخص امامه موسيقي خصوصية وقد اعتلى فرساً
وجعل على رأسه كوفية ملونة ولف عليها عقلاً وضرب بفضل اطراف
الكوفية على وجهه فلم يظهر منه سوى عينيه وشده على وسطه زناراً ملوناً
واحتذى حذاءً مما لا يلبسه الا السيدات وحلى ساقه بمخالخال لامع من
الفضة فاختلف الناس فيه اهو مخنث او امرأة تخنى أمرها وبمباراة أخرى
(هل هو الرجل الجديد او المرأة الجديدة) ثم صرت شرذمة من

المساكر الفرسان بأيديهم السيوف تلوها أخرى من الرجالة بأيديهم
البنادق ثم غوغاء من الناس يذكرون الله لا يتجاوز الذكر حناجرهم وقد
تأجلج بصرم ذات اليمين وذات الشمال ثم سبعة من كناسي المسجد
الأحمدي بأيديهم سيوف أنحى عليها الصداً وكر الغداة ومر المشي وقد
لبسوا دروعاً وخوذاً اخلقتها الدهور لاقراع الكتاب والظاهر انها
كانت مما يستعمل زمن الحروب الصليبية والناس يزعمون انها كانت لباس
الاسرى الذين احتملهم سيدي احمد البدوي من بلاد الكفار وامامهم
حاملوا البلط والسيوف الحشبية ثم الحنيفة وعلى رأسه التاج المنسوب
الى السيد احمد البدوي وبجانبه الحراس من فرسان المساكر والاهالي
خيفة ان يختلس التاج اولاد نوح الذين يزعمون انهم اولى به وورآهم
اخلاط المشاة والركبان بالازياء المختلفة والبعض قد ضم اليه طفلاً ألبسه
خرقة خضراء وطرطوراً رجاء ان يعيش ويطول عمره تتخللهم زعانف
آخرين كحملة الزمار والطبل البلدي والتركي ثم الذين يركبون الابل وقد
وضعت بينهم مائدة على ظهر بئر يلبون عليها بالضمن والكوتشينه والورد .
ثم راكب على جمل قد لبس حلة من شعر المعز وتاجاً اخضر محلي بالقصب
المخيش وحلة خضراء وامامه ولد كذلك وامام الولد سبط مقشى بالنسيج
الاخضر وغيط الجمل كذلك وبعد ذلك ثلاثة نفر قد صبغوا وجوههم
بالوان من الاسفيداج والسليقون واللاذورد وتزيوا بأزياء مختلفة ويبد
كل منهم قرص من السرقين يموج به الهواء ليستنشقه بارداً وبالجملة لا
يكاد يمر بالوكب الا من غير زيه وشكاه وخلقه وخلقه

هذه بعض صفات المولد الاحمدي الذي يعتقد كثير من الناس انه

من مستثنيات الشريعة الفراء وان الميادرة اليه من افضل القرب وان من زنى فيه لا بد ان يتوب الله عليه وان موكب الخليفة الموصوف هو مهبط الاسرار الربانية وان ما يقع فيه من الامور المخالفة للشريعة لا يقع الا وقد سبقه الفجران وهكذا تلبس المساوي لباس الآداب الدينية وتتصق الوثنية بدين التوحيد وتعد المخازي الهادمة للآداب والمروءة من دعائم الخليفة السمحة تبرا الاسلام من ذلك وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً

اكتب هذه السطور وانا مشرف على موكب الخليفة من جهة يميني وعلى يساري كتاب فيه تاريخ الفراعنة في وثنيهم الأولى اطالع وصف مواكبهم واجيل طرفي في صورة الموكب فلم اقرأ مثلاً يلمح طرفي الآن مما يشوه وجه الآداب او يناقض سمات الفضيلة فخيّل لي ان تلك الوثنية الاصلية اُرقى من جميع الوجوه مما لحق بالاسلام والتصق به من هذه الشعائر الوثنية الطارئة صررت على بيت فاذا فيه جماعة قد اخذوا بأيديهم المعازف من الدف والمزمار البلدي والأرغول والناي والجميع يعزفون بالانتقام ومنهم ضارب على صنجة رنانة من القولاذ ومهم جماعة يتمايلون ويوقفون الذكر على هذه الألحان في اي دين جاء هذا وفي اي قرآن شرع وعلى اي رسول نزل؟ هذا القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ليس في آياته امر يذكره تعالى في حال تمايل الذاكركمايل التمل أمال آناه بنت الحان فاملته ولا ان يكون ذكر الله على توقيع الحان المعازف ولم ينقل من احواله صلى الله عليه وسلم شيء من هذا الذي يأتيه اعوان الضلال الذين يتبعون خطوات الشيطان وهم يحسبون انهم يحسنون صنفاً وهناك قوم آخرون يذكرون الله بأصوات منكرة مزعجة اذكرتني

ما اخبرني به بعض المدرسين بالجامع الاحمدي وهو انه شاهد جماعة من هؤلاء في سفره الى الحجاز كانوا معه في قافلة وهم من المصريين فانأخت القافلة في واد بين جبلين فقام هؤلاء يذكرون (الذكر البيومي) في جوف الليل فلما علا صوتهم وتردد صدها في تلك الصحراء هاجت الجمال واخذت في ارجلها اطناب الخيام وقلمت الاوتاد وذعر النيام وساءت حال القافلة فقام الاعراب ممتشقين السيوف يتساءلون ما هذا الضجيج فقال لهم ذلك المدرس هذا ذكر الله فقال له اعرابي جلف : ذكر الله به تطمئن القلوب ولا تهيج منه الجمال

هذا بعض ما رأيته في هذا المولد ولو كنت ممن ينشى مواطن اللهو لذكرت كيف تراق دماء الآداب باراقة دم بنت المنقود وكيف تنحدر جداول الدراهم والدنانير وتصب في خزائن باعة المسكرات وكيف يأتون بالبغايا وينصبونهن حبات لاقتناص الوارثين من ابناء الموسرين وكيف يخرب هؤلاء الاعرار بيوتهم بايديهم وايدى الخواجات ومن وراء ذلك سوء المنقلب وبئس المصير

وفي الختام اقول ان السيد احمد البدوي رضي الله عنه لو كان حياً يمشي على رجلين وينطق بلسان وشفقتين ودعا اهل القطر المصري لعمل من الاعمال الخيرية يمود عليهم بالخير العاجل والثواب في يوم الجزاء لما لقي منهم الا اعراضاً بل لو قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى مثل ذلك لما كانوا له الا كما كان عبد الله بن ابي سلول فالى متى لا نرى من الحكومة الا المساعدة على هذه المنكرات ولا نبصر من العلماء الا الاقرار